المناهج التجديدية في تفسير القرآن الكريم وشروح الحديث الشريف

د. منظور محمد محمد رمضان*

مقدمة

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على من أرسله الله هاديا ونعمة ورحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن والاه أما بعد:

فإن أحق ما اشتغل به الباحثون، وأفضل ما تسابق فيه المتسابقون، وأولى ما أعملتْ فيه الأفكار، وأجل ما علقت به الأذهان، وخير ما أفنيت فيه الأعمار شرحا وتفسيرا وتوضيحا وتجديدا وكشفا عن علومه وبحثا عن حقائقه، وبُذلت فيه الأوقات دراسة وتدريسا لنفي الشكوك والرِيَب عنه، وصرفت فيه الجهود دعوة وحفظا وتلاوة دفاعا عن ساحته، كتاب الله معجزة الله الخالدة الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وسنة رسول الله ﷺ فهما أصل الدين الإسلامي الخالد وأساس الشريعة المحمدية السمحة، والمنهج والمحجة البيضاء شرعهما الله تعالى رحمة وهداية ورشدا وصلاحا وسعادة للعالمين: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى ١٣) روى الترمذي بسنده عن الحارث الأعور، قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليّ، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟، قال: أَوَ قَدْ فعلوها؟، قلت: نعم، قال: أَمَا إِنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة»، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟

*قسم الدراسات القرآنية كلية المعلمين بمكة المكرمة.

قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكْم ما بينكم[1] وهو الفصل ليس بالهزل[2]، من تركه من جبار قصمه الله[3]، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء[4]، ولا تلتبس به الألسنة[5]، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلُق عن كثرة الرد[6]، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنتهى الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۝٢ ﴾ (الجن ١- ٢) مَن قال به صدق ومن عَمِل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم) خُذها إليك يا أعور»[7].

فالقرآن الكريم: بحر لا يدرك غوره، ولا تنفد دُرَرُه، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معارفه، ولا تستقصى علومه، كلما تدبره المسلم ازداد شوقا إليه، أنزله الله على نبينا ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

وسنة رسول الله ﷺ: هي الحكم والحكمة المبينة لكتاب الله تعالى المفصلة لأحكامه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ● عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (النجم: ٤- ٥) فبلغ ﷺ كلام ربه كما أنزل عليه، وشرح وبين ووضح وأدى الأمانة كاملة، واجتهد في نصح الأمة حق الاجتهاد، وجاهد في الله حق جهاده.

---

[1] أي حاكم ما وقع أو يقع بينكم من الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، وسائر شرائع الإسلام، **تحفة الأحوذي** ٢١٩/٨.

[2] أي جِدٌّكُلُه وحَقٌّ جميعه، **تحفة الأحوذي** ٢١٩/٨.

[3] أي أهلكه أوكسر عنقه، **تحفة الأحوذي** ٢١٩/٨.

[4] أي لا تميل عن الحق باتباعه الأهواء، أولا يصير به مبتدعا ولا ضالا، وقيل: لا يقدر أهل الأهواء على تبديله، أو بضم التاء يعني: أي لا تميله الأهواء المضلة عن نهج الاستقامة إلى الاعوجاج، كفعل اليهود بالتوراة حين حرفوا الكلم عن مواضعه، لأنه تعالى تكفل بحفظه، **تحفة الأحوذي** ٢١٩/٨ **والمدخل لدراسة القرآن الكريم** ص (١٤).

[5] أي لا تتعسر عليه ألسنة المؤمنين ولو كانوا من غير العرب، قال تعالى: ﴿ **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ (الدخان ٥٨) وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾ (القمر ٠١٧) تحفة الأحوذي ٢١٩/٨.

[6] أي لا يصلون إلى الإحاطة بكُنْهِه حتى يقفوا عن طلبه وقوف من يشبع من الشيء، بل كلما اطلعوا على شيء من حقائقه اشتاقوا إلى آخر. (ولا يخلق) أي لا تزول لذة قراءته وطراوة تلاوته، تحفة الأحوذي ٢١٩/٨ والمدخل (١٤).

[7] سنن الترمذي، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وفي إسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال، ٢١٨/٨-٢٢١. قال المباركفوري: وأخرجه الدارمي وإسناده مجهول تحفة الأحوذي ٢٢١/٨، قال ابن حجر في ترجمة الحارث الأعور الهمداني أبو زهير، صاحب عليّ :كذبه الشعبي في رأيه، ورُمي بالرفض وفي حديثه ضعف. تقريب التهذيب ص (١٤٦). وبمثله ذكره أبو عبيد في فضائل القرآن (٥٠) قال الشيخ أبو شهبة: المتأمل فيه يجد قبسا من نور النبوة، وحِكما من ينابيع الوحي، مما يجعل القلب يطمئن إليه، المدخل لدراسة القرآن الكريم (١٣).

فما أحق الأعمار أن تُفنى فيهما، والأزمان أن تُشغل بهما، والسعيد من صرف همته إليهما ووقف فكره وعزمه عليهما، والموفق من وفقه الله لتدبر كلام الله واصطفاه للاشتغال بسنة رسوله، فكل ساعة يقضيها الباحث سواء بالنظر أو التأمل أو البحث فيهما أو بما يتصل بهما، فهو في سبيل الله[1].

تمهيد

خطـــــة البحث

اشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، ومراجع البحث وفهرس الموضوعات.

أما المقدمة ففيها: فضل القرآن الكريم والسنة، والتمهيد اشتمل على: خطة البحث، عنوانه، موضوعه، سبب اختياري للبحث، أهميته، الأهداف التربوية في البحث

أضواء على المناهج:

اشتمل على مباحث: الأول: أهمية المناهج في توجيه الأمة إلى الارتقاء، الثاني: منهج التجديد، الثالث: صياغة المنهج، الرابع: حاجة العصر إلى التجديد

خاتمة: اشتملت على: الاقتراحات، نتائج البحث، المراجع، فهرس الموضوعات

موضوع البحث: يلاحظ من خلال واقع المجتمع الإنساني لا سيما المسلمون في حياتهم العلمية والعملية خلل، في شتى عناصر مناحي الحياة، وهذا يدل على وجود خلل في أصل مرتكزات الحياة السوية ودعائمها الأساسية التي وضعها الله تعالى للبشر عامة وفي تطبيقها ليعيشوا حياة السعادة: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ (النجم ٣٢)

وإنّ من مرتكزات الحياة السوية ودعائمها الأساسية، الثقافة العلمية الممثلة في المناهج التعليمية التي توجه الإنسان إلى ضروب الاستقامة والسعادة لتحقيق ما لأجله خلق الإنسان، ومن هذا المنطلق تعد المناهج في نظر زعماء التربية لقاح الأفكار وملتقى البصائر وعرى التواصل بين العلم والتقدم والحضارات البشرية، وهذا كله يكمن في دراسة تفسير القرآن الكريم وشروح السنة المطهرة وعلومهما دراسة تجديدية توافق روح العصر وظروفه الراهنة،

[1] مقتبس من مقدمة: **المدخل لدراسة القرآن الكريم** (٥) للشيخ محمد أبو شهبة.

لتلبي الحاجة وتحقق الغرض للنهوض بالأمة لتحقق رسالتها ولتتبوأ مكانتها القيادية في إنقاذ البشرية من الانحدار والتدهور

سبب اختياري للبحث: أما سبب اختياري للبحث فقد اكتشفت من خلال التدريس سواء تفسير القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو المواد الأخرى المدرسية، أن إيصال المنهج الدراسي إلى الطلاب كم يبذل فيه من جهد وكم يستخدم فيه من وسيلة تعليمية عدى المال، غير أن الطلاب في ناحية والمنهج الدراسي في ناحية أخرى، ومع بذل أكثر من وسيلة تعليمية وجهد، غير أن ما يبذل من جهد ووسائل أكثر وأكبر مما يعود بالفائدة والنفع على الطلاب، وهذا يدل على وجود تباين بين أفكار الطلاب وبين محتوى المناهج، إما لعدم ملاءمتها لأفكار الطلاب كمن يخاطب بغير لغة مفهومة، أو لعدم مطابقتها للواقع كمن يعرف بالعنقاء وهي لا وجود لها، أو لعدم مساواة حجمها لمواعب الطلاب كمن يدخل الفيل في علبة الكبريت، وإنني سأحاول- إن شاء الله – بيان المنهج الملائم في إعداد المناهج التي يتوصل من خلالها المعلومات في مختلف المراحل الدراسية، وكيفية تقديمها للمجتمع الإنساني

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث وثمـــرته من حيث استمداده وموضوعه ومنهجه، ومن حيث تطبيقه وصلته بالمجتمع وحاجتهم إليه، ومدى تحقيقه للنتائج والأهداف المرجوة من ورائـــه، وإنّ موضوع: (المناهج التجديدية في تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث بما يوافق ظروف العصر وحاجاته ويحقق التكامل بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية) من أهم الموضوعات لتعلقه بكتاب الله تعالى وبسنة رسول الله ﷺ ونحن في أمس الحاجة إلى مثل هذه الموضوعات، لا سيما في زمن توالت المؤامرات المغرضة على الإنسان عامة وعلى الأمة الإسلامية خاصة، فما حصل أو يحصل من هجر للقرآن الكريم، أو ضعف في معرفة السنة، أو خروج على أحكامهما، أو إهمال لأوامرهما ونواهيهما، أو استهتار بالحقوق الواجبة للناس أو عليهم، رغم كثافة المقررات الدراسية وضخامة المناهج التعليمية في مراحل التعليم المختلفة، وتنوع في طرائق التدريس وتطويرها، وتنوع أساليب التقويم والتقييم والتوجيه والإرشاد، لدرجة أن الطالب يمضي وقتا طويلا، ويبذل جهدا جهيدا ثم يتخرج من صرح تعليمي وهو لّما يتخرج بسلوكه وبخلقه، و لم ينضج بعد عقله وفكره إلا من رحم الله وقليل ماهم.

ولعل سبب ذلك راجع إلى أمور:

١- ضعف همم المسلمين وإعراضهم الواضح عن القرآن الكريم وعن سنة رسول الله ﷺ

٢- عدم الاستشعار بمكانتهما، بتقديم الأدنى عليهما، أو بإيثار الماديات أو بطلب العاجلة، مع أن للقرآن الكريم وللسنة مكانة في النفوس وتأثير على العقول ووقع على الوجدان والأفئدة، وقد سمع جبير مطعم ﷺ وهو بعدُ مشركٌ على دين قومه: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (الطور ٣٥) فقال: "خِلت أن فؤادي قد انصدع"[1].

٣- تقصير المسئولين في تقديمها للمجتمع في شكل يوافق روح العصر ويلائم أفكار الطلاب، أو يوازي مواهبهم، مما جعل الطلاب يستدبرون كاستدبار من يجبر على مضغ الحديد، وهذا من أهم الأسباب التي يجب الالتفات إليها.

٤- مزاحمة أفكار الطلاب بالفضوليات حتى ضايقت الأساسيات فلا يلتفت إليهما إلا فيما فضل من الوقت.

٥- عدم مراجعة المناهج إلا عند نزول فاجعة أو حادثة، مع أن المناهج يجب تفقدها كل فترة، فهي تخضع للفكر البشري في أسلوبها، ويخضع لها الفكر البشري في سياقها.

٦- عدم مراعاة الكم والكيف في وضع المناهج وفي إقرارها على الجنسين في مختلف مراحل التعليم، مما يؤدي إلى عدم التوافق بين الوقت وبين مفردات المنهج، أو عدم التطابق بين المتطلب لما قبله لما بعده.

٧- عدم مراعاة توجهات العصر في وضع المناهج وفي إقرارها أسلوبا ولغة

٨- محاولة تقليد الغير في وضع المناهج، مما يؤدي إلى عدم التناسق بين نهمة الطالب وبين ما يغذى به، فتكون النتيجة غالبا ضياع الوقت والجهد.

الأهداف التربوية في البحث:

إن قضية التربية قضية حساسة وفي بالغ الخطورة، فهي تحدد مصير الإنسان في آخرته قبل دنياه، فإما سعادة أبدية أو شقاوة أبدية ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الأنفال ٤٢) ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (التوبة ١١٥)

[1] صحيح البخاري ٦٠٣/٨.

كما أنها الأساس واللبنة الأولى إلى التقدم والرقي في شتى المجالات، والمعيار الذي به توزن أفكار الأمم ومواهبها، ويعرف به رقيها من انحطاطها وتقدمها من تأخرها، ولقد ارتفعت في عصرنا الحاضر أعلام التربية واكتسى عنوانها ثوب البهرجة والتزويق معنىً ومفهوما حتى تجاوز حده، ونادى المفكرون مكرسين جهودهم على تحقيق مفهوم التربية، وانصبت جهود كبيرة على مستوى الدول من أجل تحقيق هذا الهدف، وتبع ذلك بناء صروح شامخة وخصصت لها ميزانيات ضخمة تتولى العناية بها، فأصبحت التربية حديث الساعة والشغل الشاغل للمجتمعات البشرية، إلا أنه اختلفت الأنظار والأفكار- تبعا للمعتقدات والمباديء والاتجاهات- في تحديد معنى ومفهوم ومصدر التربية وما يحقق هذا الغرض النبيل، ومن ثم جدير بنا أن نعطي لمحة عن مثل هذا الموضوع، لكي نقدم للأمة ما هي في أمس الحاجة إليه، لا سيما في مثل هذه الظروف الحرجة التي تحيط بالأمة الإسلامية بل البشرية عامة، حيث تشكوا حاجتها الماسة إلى تربية يتكون منها فرد صالح، بعد أن جربت مناهج كثيرة لكنها أدركت فشلها في إيجاد الفرد الصالح الذي يتكون منه مجتمع وأمة صالحة.

ولو استعرضنا تاريخ المجتمعات منذ فجر الإسلام، لوجدنا أنه لم تتشرف الدنيا، و لم تسعد الأرض بل لم تكتحل العين بمثل مجتمع صحابة رسول الله ﷺ جيل القرآن الكريم الذين اتخذوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ منهجا وسلوكا، ذلك المجتمع الفذ من نوعه، لم يعرف فلسفة أو نظرية أو تجربة تربوية، بالرغم من ذلك كله ساد العالم قيادة ومنهجا فأصاب الهدف، وما ذاك إلا بفضل التربية المحمدية التي أشاد القرآن الكريم بفضلها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الشورى ٥٢).

وتواصل السير وتتابع الركب على ذلك الحال إلى عهد قريب والأمة الإسلامية تقدم كل جديد وجميل ومفيد للبشرية، ثم انفرط العقد وانفلت الزمام وانتقلت القيادة بسبب الاهمال والغفلة، ولا زال الوقت باقيا والفرصة سانحة لتدارك الفائت، وهذا يوقف بنا إلى أننا يجب علينا أن نوازن بين القديم والحديث لنعرف موطن الخلل، فنوازن في وضع المناهج التي تهدف إلى تكوين المواطن الصالح لجميع مناحي الحياة، فما أجدر وأليق بنا معشر الأمة الإسلامية أن نهتم بهذه القضية المصيرية ونقدرها حق قدرها.

أضواء على المناهج

المبحث الأول: أهمية المناهج في توجيه الأمة إلى الارتقاء:

لكل أمة مبدأ ومنهج ومشرب تبني عليه آمالها وتعقد عليه عزائمها وفق خطط مرسومة لها: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجا﴾ (المائدة ٤٨) وتعد هذه المناهج بمثابة وقود شحن للآلة، أو بمثابة الدم لحياة الجسد، وكلما كانت المناهج ملائمة كان تكيف الإنسان في تلقيه وفي عطائه وبذله أنفع وأجدر، وإن الأمة الإسلامية تختلف عن سائر الأمم فهي أمة القيادة والريادة، كتابها ناسخ لجميع الكتب السماوية، ودينها هو الدين المسيطر الباقي ومنهجها هو المنهج السائد.

ومسألة تجديد المناهج أمر مشروع، قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (النساء:٨٢) وقال ﷺ : (بلغوا عني ولو آية) [١] ومن معاني البلاغ ومقتضاه: الفهم والاستظهار والاستيعاب لما يبلغه المبلغ.

هذه الآية فيها الأمر بتدبر القرآن الكريم هو: تأمل معانيه وتبصر ما فيه والنظر في عواقب الأمر التي أرشد إليها [٢] يقول سيد قطب حول هذه الآية: وهذا التدبر المأمور به يختلف من فهم شخص لآخر حسب الزمان والمكان تبعا لاختلاف العقول والأجيال في إدراك مداها، ولكن كل عقل وكل جيل يجد منها بحسب قدرته وثقافته وتجربته وتقواه ما يملك إدراكه، في محيط يتكيف بمدى القدرة والثقافة والتجربة والتقوى، ومن ثم فإن كل فرد وجيل مخاطب بهذه الآية وبوسعه التدبر وفق منهج مستقيم أن يدرك من هذه الظاهرة، كمنهج التربية للنفس البشرية ومحتويات هذا المنهج وجوانبه الكثيرة، ومنهج التنظيم للنشاط الإنساني للأفراد وللمجتمع الذي يضم الأفراد وشتى الجوانب والملابسات التي تطرأ في حياة المجتمعات البشرية على توالي الأجيال، ومنهج التقويم للإدراك البشري ذاته وتناول شتى قواه وطاقاته وإعمالها معا في عملية الإدراك !، ومنهج التنسيق بين الكائن الإنساني بجملته في جميع مجتمعاته وأجياله ومستوياته وبين هذا الكون الذي يعيش فيه؛ ثم بين دنياه وآخرته؛ وما يتفرع في العلاقة بينهما من ملابسات لا تحصى في عالم كل فرد؛ وهو يعيش في هذا الكون بشكل عام، فما من نظرية بشرية وما من مذهب بشري، إلا وهو يحمل الطابع البشري جزئية النظر والرؤية والتأثر الوقتي بالمشكلات الوقتية وعدم رؤية المتناقضات في النظرية أو المذهب أو الخطة التي تؤدي إلى

[١] **صحيح البخاري** ٤٩٨/٦.

[٢] الكشاف للزمخشري ٥٢٩/١.

الاصطدام بين مكوناتها إن عاجلا وإن آجلا، كما تؤدي إلى إيذاء بعض الخصائص في الشخصية البشرية الواحدة التي لم يحسب حساب بعضها؛ أو في مجموعة الشخصيات الذين لم يحسب حساب كل واحدة منها إلى عشرات ومئات من النقائص والاختلاف، الناشئة من طبيعة الإدراك البشري المحدود، ومن الجهل البشري بما وراء اللحظة الحاضرة فوق جهله بكل مكونات اللحظة الحاضرة في أية لحظة حاضرة! وعكس ذلك كله هو ما يتسم به المنهج القرآني الشامل المتكامل، الثابت الأصول ثبات النواميس الكونية؛ الذي يسمح بالحركة الدائمة مع ثباته كما تسمح بها النواميس الكونية.

وتدبر هذه الظاهرة في آفاقها هذه قد لا يتسنى لكل إدراك، ولا يتسنى لكل جيل بل المؤكد أن كل إدراك سيتفاوت مع الآخر في إدراكها؛ وكل جيل سيأخذ بنصيبه في إدراكها ويدع آفاقا منها للأجيال المترقية، في جانب من جوانب المعرفة أو التجربة إلا أنه يتبقى من وراء كل الاختلاف البشري الكثير في إدراك هذه الظاهرة كاختلافه الكثير في كل شيء آخر ! بقية يلتقي عليها كل إدراك ويلتقي عليها كل جيل إلى آخره[1].

المبحث الثاني: منهج التجديد:

ومن هذا المنطلق يجب على الأمة الإسلامية مراجعة ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم وبشرح الحديث إذ هما أساس المناهج متلازمان ليوافق حاجات العصر ويطابق عقول أهل الزمان:

١- التفسير: إنّ كتب التفاسير الموجودة المتداولة منها تفسير آيات أحكام وهي تبين وتفصل ما يتعلق بالأحكام دون ذكر الحكم والفضائل، ومنها تفسير تحليلي فهي تفسر وتحلل الكلمة لغة وإعرابا واشتقاق وقد تطيل وتفصل في ذكر أوجه الأعراب أكثر من ربطها بواقع حياتنا، ونحن أحوج ما نكون إلى ذلك، ومنها تفسير موضوعي وهذا الصنف يؤدي لكنه بعض الغرض المنشود، لأنه جزء من الكل وما عسى يغنى الجزء إلا في تلك الجزئية فقط، ومنها تفسير بياني وهذا النوع هو المطلوب غير أن الموجود لا يحقق الغرض لوجود مقاطع في بعض المناسبات، وبعض كتب التفسير الحديثة قد سلكت هذا المنحى غير أنها لم تستوعب جميع القرآن الكريم، ككتاب: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) لابن سعدي، ومن العلماء المعاصرين من قد توجه إلى هذا الأسلوب والمنهج غير أنه في حدود التهذيب والاختصار للموجود، دون تقديم جديد، ومعظم هذه المؤلفات الموجودة لا نصيب للعامي

[1] انظر في **ظلال القرآن** لسيد قطب ٢/٧٢١.

منها، بل أصحاب الثقافة المتوسطة لا يستفيدون منها إلا قليلا، بينما المطلوب الفائدة العامة الشاملة لجميع الطبقات، وهذا هو المقصود من قول الله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ (النساء:٨٢).

ومناهج التفسير في التعليم الموجودة حاليا زادت الأمر أكثر تعقيدا، فليس للطالب خيار في استيعابها وإدراكها سوى حفظها، وهذا ما نحن نشكوا منه، وذلك لصعوبة الأسلوب.

والمقترح: هو تجديد التفسير في صورة بياني وفي أسلوب خطابي موضوعي، بحيث يقف المؤلف عند كل كلمة وعند جملة مبينا المعنى مع بين المعنى من صلة بما قبله بما بعده، مع تقدير المقدر وجواب ما يحتاج إلى جواب حسب ما يقتضي المقام، ثم ربطه بأسلوب وعظي بواقع الحياة بحيث يصلح لكل الطبقات.

٢- السنة النبوية: إن كتب شروح السنة الموجودة في الوقت الراهن شأنها شأن كتب التفسير من الناحية المنهجية، فهي تشرح المعنى وتبين ما في الحديث من الأحكام والفوائد وتسهب في بيان ذكر أوجه الروايات واختلاف الألفاظ أكثر دون ذكر إرشادات الحديث وربط ذلك بواقعنا، فمثلا: أفضل شرح لكتب الأحاديث نعتبره هو كتاب: (فتح الباري شرح صحيح البخاري) لابن حجر، هذا الكتاب على جلالة قدره لا يصلح إلا للعلماء أو لطلاب الدراسات العليا، أما أصحاب الثقافة المتوسطة أو مَنْهُم في إعداد العوام فلا نصيب لهم فيه.

المفترض: بما أن التفسير وشرح الحديث هما أساس التشريع ومتلازمان أن يكونا مشرباً سلسا سهلا لجميع طبقات الناس حتى يبقى الجميع قادرا على الانتهال منهما كيف ومتى شاء، والذي يلاحظ أن أكثر الناس كَلٌّ على غيره في الاستسقاء منهما، وهذا يعد- في نظري- تقصيرا عظيما من العلماء فيما يقدموه، ولعل هذا هو السبب في ضعف الناس في ثقافتهم الإسلامية لكون أكثر الناس مبتعد عن التفسير وعن شرح الحديث، بينما كلام الله وكلام رسول الله ﷺ من اليسر والسهولة بمكان معلوم: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر:١٧) التيسير المذكور شامل لجميع الأوجه بما ذلك الفهم والادراك لغالب ما يقرؤه الإنسان، وهذا هو المقصود من قول الرسول ﷺ: (بلغوا عني ولو آية)[١] أي: أوصلوه ظاهرا مبينا مفهوما ليستفيد منه المبلغ.

والمقترح: هو تجديد شرح الحديث أسوة بالتفسير في صورة بياني وفي أسلوب خطابي

[١] **صحيح البخاري** ٤٩٨/٦.

موضوعي، بحيث يقف المؤلف عند كل كلمة وعند جملة بل يصلح لأن يكون كل حديث موعظة بذاتها مبينا المعنى ثم ربطه بأسلوب وعظي موضوعي بواقع الحياة بحيث يصلح لكل الطبقات.

المبحث الثالث: صياغة المناهج:

يعتمد المنهج في أصله على أمرين: الصياغة، والمادة.

أما الصياغة: بمثابة قدح أو وعاء تحفظ فيه المادة لإيصالها إلى مكانها، فكلما كان الوعاء صالحا كاملا سهلا قريبا كان إيصال المادة به أبلغ، ويؤيد هذا قول النبي ﷺ: «فرب مبلغ أوعى من سامع» وفي رواية: «فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»[1] أي: كلما كان وسيلة النقل أوعى وأضبط لما ينقله كان أجدر وأحرى بالفهم والفائدة والعمل.

أما المادة: فالأمر فيها مفروغ فهي كلام الله وكلام رسول الله ﷺ وليس لأحد أن يمد قلمه أو لسانه أو بصره إليهما إلا بالإجلال والكمال والتمام.

المبحث الرابع: حاجة العصر إلى التجديد:

إن التجديد أمر حتمي في جميع شئون الحياة علميا كان أو عمليا، بل هو من لوازمات الحياة الطيبة ومن علامات نقص الدنيا: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ (الأنعام:٣٢) واللعب واللهو هو التجديد، فإن الدنيا لا تبقى على وتيرة واحدة ولا تدوم على حالها: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (البقرة:٢١٢) والزينة هي التجديد، وإن من مقتضاها الانتقال من حال إلى حال، والنقص يقتضي إتمامه وإكماله وسده بما يوافق ظروف العصر وحاجاته، وإن التجديد في مناهج التعليم من أهم الملاحظات التي يجب مراجعتها كل حين ولحظة، إذ العلم غذاء العقل وقائد الروح ومحرك الرغبات، ذلك لأن مسار الدنيا متوقف على محاور العلم والتعليم، ومعظم آيات القرآن الكريم ترشدنا إلى ذلك، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (المائدة ٤٨) وهو التجديد والتحول ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (الأنعام:١٦٥) ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك:٢) ففي الآيات المذكورات إرشاد عام إلى طلب التجديد وافتقاد

[1] **صحيح البخاري** ١/١٥٨.

الخلل وسد الحوائج لمتطلبات الحياة المستجدة، وهذا ما يتحقق بتحقيق هذا الهدف ألا وهو تحقيق التكامل بين العلوم الشرعية والإنسانية، وهو هدف أرشد الإسلام إليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ، بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٣- ٤٤).

وإن مما يدل على تجديد المناهج ليتجدد العلم أمر الله تعالى لموسى عليه السلام بالسفر ليسن سنة تجديد العلم وتطوير المعلومات: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ (الكهف:٦٥) عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله يقول: «إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إنّ لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك ...»[1].

أما حينما يستغني المجتمع عن التجديد أو لا يرى للتجديد أهمية أو للمراجعة فائدة، فإن ذلك يدل على تخلفه وسوء فهمه وجموده العقلي، وقد يجره ذلك إلى الوقوع في أخطاء فادحة، وقد يكون ذلك وبالا عليه، كما حكى الله تعالى عن قوم اغتروا بما لديهم من علم دون أن يرفعوا رءوسهم أو يلتفتوا إلى ما جاءهم من رسل الله من علم لتصحيح أخطائهم أو لتعديل أفهامهم: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ (مريم:٤٣) فكان ذلك سببا في خسارتهم الفادحة: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (غافر: ٨٣) وكم خسرت الأمة الإسلامية من أسباب العز والمجد وكم تخلفت وتأخرت بسبب جمودها وغفلتها عن مواكبة الركب البشري: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ (الأنفال ٦٠).

ومع هذا التجديد والتطوير يجب أن تبقى الثوابت ثابتة والمعالم مركوزة، فالاجتهاد موضع الاجتهاد والتعديل موضع التبديل: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ (فاطر ٤٣) فلا يجوز زحزحة الثوابت باسم التجديد، ولا يصح تحويل المعالم باسم التطور، أو قلب الحقائق بسبب استحداث العوائق، كما ينادى اليوم بتغيير معالم الإسلام باسم تعديل المناهج أو تطويرها.

[1] **صحيح البخاري** ٤٠٨/٨.

خاتمـــــة:

الاقتراحات:

أولا: أقترح منهجا لتفسير القرآن الكريم يتألف من الخطوات التالية:

١- التمهيد بين يدي السورة الكريمة، بما يبرز اسم السورة، والسر في التسمية بهذا الاسم، وعدد آياتها وكلماتها، والمناسبة بينها وبين ما قبلها، وقضايا النسخ فيها، وأهم الخصائص البيانية لأسلوبها الكريم، ثم إبراز الوحدة الموضوعية للسورة.

٢- الربط الكلي للقرآن الكريم:

وأعني بذلك أن المفسر لا يقطع الآية عن النظر حسب مقتضى المقام فيما يوافقها من آيات القرآن الكريم، فما أجمل في موضع منه بسط في موضوع آخر، وما اختصر في موضع فُصل في موضع آخر، وما أطلق في موضع قُيّد في موضع آخر، مع ذكر الأحكام الواردة في الآيات وذكر الفسحة التيسير المستفاد من الاختلافات المذهبية على أن كل ذلك جائز فعله، فيها مما يحصل للقاريء متعة وفائدة.

٣- العناية بالصحيح من التفسير بالمأثور:

من المعلوم أن السنة النبوية هي المذكرة التفسيرية للقرآن الكريم والشارحة له عملا بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل ٤٤) واشتملت كتب السنة ضمن أبوابها على باب التفسير، وفيه من الأحاديث النبوية الصحيحة التي توقفنا على التفسير النبوي للقرآن الكريم، ويأتي بعد ذلك الصحيح من تفسير الصحابة رضوان الله عليهم، لأنهم شاهدوا التنـــزيل وأحاطوا بملابسات النُّزول.

٤- ترك الإطناب فيما ورد مبهما:

اشتمل القرآن الكريم على كثير من المبهمات المتعلقة بالأشخاص والأماكن والأزمان، ويجب الوقوف عند حد ما أبهمه القرآن الكريم، إلا ما بينه النبي ﷺ أو ورد عن الصحابة من طريق صحيح، أما ما عدى ذلك فلا ينبغي البحث عن مبهمات القرآن الكريم، إذا لو كان في بيانه فائدة ما تركها القرآن الكريم.

٥- البعد عن الإسرائيليات والموضوعات في تفسير القرآن الكريم:

الإسرائيليات هي عبارة عما دسّه أهل الكتاب في تفسير القرآن الكريم مما ليس له أصل في

الدين، وعلى المفسر المعاصر أن يكون على حذر من الإسرائيليات التي ملئت بها كتب التفسير وشحنت بها، والتي حاولت القضاء على جمال النص القرآني، وربط المسلم بأمور لا قيمة لها من الناحية العقدية سوى أنها تحدث البلبلة والاضطراب لدى الناشئة المسلمة.

٦- تجلية الإعجاز البلاغي للنص القرآني بأسلوب سلس سهل ميسر يلائم العصر ويلائم أفهام المجتمع بعيد عن الصنعة البلاغية العقيمة التي يتقبلها العقل.

٧- الاستعانة بالحقائق العلمية المناسبة لإبراز الإعجاز العلمي للقرآن الكريم على وجه يلائم ثقافة المسلم المعاصر وغيره.

٨- التركيز بصورة كبيرة على الفوائد التربوية للنص القرآني ومحاولة توظيفه لخدمة الواقع الإسلامي المعاصر، مما يؤكد لدينا حيوية القرآن الكريم وقدرته على معايشة المسلمين في العصر الحاضر.

٩- صياغة كل ذلك بأسلوب سهل ميسر، بعيد عن التعمق في تقصيد القواعد النحوية والصرفية والبلاغية المعقدة، مما يشعر السامع والقاريء بأنه يقرأ في كتاب نحو أو صرف أو بلاغة، وما لهذا أنزل القرآن الكريم، فيجب أن يوظف ذلك لفهم القرآن الكريم وتدبره، ولا تجعل الوسائل في حكم المقاصد.

١٠- إعطاء كل جملة من الآيات كلمة وعظية (المعنى العام) بما يقتضيه المقام وحسب حاجة الناس إليه، بحيث يقرؤها الإنسان كأنما يتلقاها من واعظ مرشد، وفي الوقت نفسه تصلح لأن تكون فاتحة لطلاب العلم تدربهم على الكلمات الوعظية في مختلف المناسبات.

ثانيا: أقترح منهجا لشرح الحديث الشريف يتألف من الخطوات التالية:

١- إعطاء كلمة موجزة وعظية (المعنى العام) حول الحديث بحيث يقرؤها الإنسان كأنما يتلقاها من واعظ مرشد، وفي الوقت نفسه تصلح لأن تكون فاتحة لطلاب العلم تدربهم على الكلمات الوعظية في مختلف المناسبات، وبحسب خبرتي إن المجتمع المسلم يحتاج إلى كلمات وعظية مؤصلة بالكتاب والسنة أكثر كخطب المساجد.

ومن فوائد مثل هذه الكلمات أنها تحجز الإنسان عن الاجتهاد، أيا كان وضعه عن الخوض فيما لا ينبغي أو الخروج إلى ما لا ينبغي، والتقيد بالصحيح المعقول المناسب، فكم فلتات اللسان جرَّت مصائب على المجتمع المسلم، وشوَّهت الصورة المثلى للإسلام والمسلمين بسبب الاجتهادات الشخصية القاصرة أو الحماس الزائد.

أقدم نموذجا من كتب شرح الحديث الشريف الموجودة الجيدة، كتاب: (عمدة القاري شرح صحيح البخاري) يصلح لأن يكون نموذجا لشرح الحديث الشريف، وذلك لما اشتمل على جوانب مهمة يحتاجها الإنسان.

هذا الكتاب جمع بين مزايا كثيرة، كذكر الحديث وطرقه ورواياته وذكر الألفاظ المختلفة وشرح مفردات الحديث، ثم شرح الحديث (المعنى العام) فقه الحديث ذكر ما يستفاد منه، وذكر مذاهب الفقهاء، وذكر الخلاف بين المسائل المختلف فيها وذكر الأدلة والترجيح. إلى غير ذلك.

غير أن الذي ينبغي إضافته من الناحية الفنية هو: فصل ما يتعلق بالحديث رواية عما يتعلق به دراية حتى لا تختلط المعلومات على القاريء.

التركيز: على بيان أن الاختلاف المذهبي إنما هو لأجل التيسير والتسهيل وتنوع طرق عبادة الله تعالى على الأمة، المهم افعل وامتثل الأمر واعبد الله كيفما تيسير لك، مستفادا من: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج ٧٨) (افعل ولا حرج) لا الصراع والنِّزاع الذي نشاهده في عصرنا من تخطئة بعض المذاهب والهجوم البغيض على بعض أئمة المذاهب، مما أدي إلى الشقاق والافتراق والتعصب الممقوت كان من نتائجه حدوث الحوادث المؤلمة أثناء أداء العبادات.

٢- الربط الكلي للحديث:

وأعني بذلك أن الشارح لا يقطع الحديث عن النظر حسب مقتضى المقام فيما يوافقها من الأحاديث، فما أجمل في موضع منه بسط في موضوع آخر، وما اختصر في موضع فُصل في موضع آخر، وما أطلق في موضع قُيِّد في موضع آخر، مما يحصل للقاريء متعة وفائدة.

٣- الاستعانة بالحقائق العلمية المناسبة لإبراز الإعجاز العلمي للحديث على وجه يلائم ثقافة المسلم المعاصر وغيره.

٤- التركيز بصورة كبيرة على الفوائد التربوية لما ورد في الحديث الشريف ومحاولة توظيفه لخدمة الواقع الإسلامي المعاصر، مما يؤكد لدينا حيوية كلام رسول الله ﷺ وقدرته على معايشة المسلمين في العصر الحاضر.

٥- صياغة كل ذلك بأسلوب سهل ميسر، بعيد عن الخلافات اللفظية أو المتاهات المذهبية، بحيث يساق الخلاف المذهبي في صورة التنوع والتيسير على الأمة (افعل ولا حرج) كل ذلك جائز، لا التعسير والافتراق.

نتائج البحث

من خلال عرضنا لموضوع: "المناهج التجديدية في تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث بما يوافق ظروف العصر وحاجاته ويحقق التكامل بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية" نستخلص ما يلي:

١. تعد المناهج إما سلم ارتقاء الأمم إلى مجد الحضارة والتقدم، أو الانحطاط والتخلف.
٢. من خلال المناهج يتبين وزن أفكار الأمم ومفاهيمها.
٣. يجب افتقاد المناهج بصفة مستمرة خاصة عند حدوث خلل في توجهات الطلاب.
٤. يعتمد تقويم المناهج من خلال توجهات المجتمعات.
٥. يجب إعطاء الأولوية للمناهج حسب تأثيرها وحسب الاحتياج إليها وحسب تأصلها وتأسسها.
٦. تظهر أهمية المناهج وثمـــرته من حيث استمداده وموضوعه ومنهجه، ومن حيث تطبيقه وصلته بالمجتمع وحاجتهم إليه، ومدى تحقيقه للنتائج والأهداف المرجوة من ورائه.
٧. إن وجود خلل في واقع المجتمع الإنساني في حياتهم العلمية والعملية دلالة على وجود خلل في أصل مرتكزات الحياة السوية ودعائمها الأساسية المتمثلة في المناهج.
٨. ويعد من الخلل في المناهج عدم مراجعتها إلا عند نزول فاجعة أو حادثة، أو عدم مراعاة الكم والكيف في وضعها وفي إقرارها على الجنسين في مختلف مراحل التعليم، أو عدم مراعاة توجهات العصر في وضعها وفي إقرارها، أو محاولة تقليد الغير في وضعها.

وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه.

المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- **تحفة** الأحوذي بشرح جامع الترمذي، **تصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٣، ١٣٩٩هـ، دار الفكر، بيروت.**

٣- المدخل لدراسة القرآن الكريم، **للشيخ محمد أبو شهبة**.

٤- صحيح البخاري، **ضبط محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية دار الفكر**.

٥- في ظلال القرآن، **لسيد قطب ط دار الشروق القاهرة**.

٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوده التأويل، **للزمخشري ط١**.